مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: مايو

التاريخ: ١٩٨١/١١/١٥

السادات والوطنية المصرية

لم يكن السادات مجرد رئيس ادار دفة السفينة بحنكة وحكمة .. ولم يكن ايضا مجرد زعيم هز فقدانه وجدان العالم المتحضر واحس الناس فى كل مكان بفراغ مخيف بعد أن خلت دنيا الاحياء منه فقد كان فوق هذا وذاك مصريا لم يكف قلبه عن النبض بحب مصر لحظة واحدة من حياته .. ولعل كل من يتأمل انجازات السادات لابد أن يدرك أن جميع افعاله انما كانت تصدر عن حب عميق لمصر فهو الذى حرر الانسان المصرى من الخوف .. واقام العدالة بين الناس وحقق نصر اكتوبر المجيد وحول الحرب الى سلام وجدد شباب مصر وبعث روحها ووضعها على أول طريق العصر والرخاء واعاد اليها مكانتها فجعل اسمها يتردد على كل لسان .. باختصار هو الذى اخرج مصر من الظلام الى النور .. ولكن ليس هذا مجال احصاء منجزات السادات فقد فعل الكثير وكلنا على ما اعتقد نعرفه .. ولكن الذى اريد أن أقوله هو أن السادات كان الزعيم الوحيد الذى كرس حياته لبعث واحياء الوطنية المصرية فى قلوب المصريين فقد ادرك أن الوطنية المصرية هى العصب الوحيد الذى اقام حياة مصر وشد ازرها عبر الاف السنين .

فرغم ما تعرضت له مصر من غزوات ومحن حتى ايام الاحتلال البريطانى وقبل وبعد ثورة ١٩١٩ ظلت مصر محتفظة بشخصيتها لان المصريين ظلوا يدينون بالولاء والحب لمصر دون غيرها وهذا ما حفظ لهم كيانهم .. ولكن فى منتصف الاربعينات بدا الولاء لمصر يصيبه شىء من الخلل فقد حل محله فى بعض صفوف المصريين الولاء لمذاهب وافكار مستوردة كالشيوعية وفى بعض الصفوف الاخرى نسى المصريون حبهم لمصر فاستبدلوه بحبهم لانفسهم وابتكروا من صفوف الشعوذة والهوس الدينى ما تستروا خلفه واستغلوه لتحقيق اطماعهم العمياء فى الحكم كما حدث منذ اغتيال النقراشى الى اغتيال الزعيم الخالد أنور السادات .. وفى عهد لخر ممن منحتهم مصر الحياة تنكروا لها واصبح كل ولائهم للمادة فى اى شكل من اشكالها المختلفة من قوة وسلطان ومال حتى ولو كان هذا على حساب مصر وبقية المصريين .

وقد ادرك السادات كل هذا واكثر برؤيته الثاقبة فراح يدعو الى قيم القرية وهى القيم التى توارثناها جيلا بعد جيل عن اجدادنا الفراعنة ونقلها عنا من حملوا شعلة الحضارة بعدنا فكانت منارا للانسانية عبر تاريخها .. هذه القيم كانت ومازالت تحكم الحياة فى ريفنا المصرى الذى هو فى الحقيقة صورة تكاد تكون طبق الأصل فى المجتمع المصرى القديم صاحب الفضل علينا وغيرنا اما فى المدينة فقد اختفت أو كادت فهى قيم لا ينص عليها قانون بل يتوارثها الناس بالعرف والممارسة .. لانها قيم الحق والخير والجمال .. يمارسها الفلاح المصرى البسيط فى قريته ولكنه بمجرد ان يهجر القرية الى المدينة تختلط هذه القيم بقيم اخرى دخيلة عليه فتنطمس داخله وتصبح ذكرى بعيدة .

ومن هنا كانت جهود السادات لاحيائها لانها قيم مصرية أصيلة فبعثها هو بعث للشخصية المصرية وعلى راسها حب مصر عسى أن يعيد هذا الحب الى مصر كيانها كما بنى حضارتها منذ الاف السنين وحافظ عليها عبر الزمان .. ومن هنا نرى أن ولاء السادات لمصر لم يقتصر فقط على الحاضر بل امتد الى الجذور فقد كانت مصر بالنسبة اليه كلا لا يتجزأ .. يحب ترابها الذى يسير عليه لانه هو نفس التراب الذى سار عليه أجدادنا منذ الاف السنين . جمعنا بالزعيم منذ سنتين تقريبا لقاء كان يضم عددا كبيرا من كتاب مصر وصحفييها ودعانا جميعا الى أن نبدى رأينا بصراحة فى كل ما يشغلنا بالنسبة لمصر ـ وتحدث ضمن من تحدثوا استاذنا الدكتور حسين فوزى وكان حديثه عن هضبة الاهرام وما قيل عن أن بعض الناس قد باعوها لشركة اجنبية لتقيم عليها بيوتا وفنادق صغيرة .. الخ .. ودهش الزعيم وقال : انا لا اعرف أن شيئا من هذا قد تم .. وسأدرس الموضوع اليوم .. وفى عودتنا من القناطر كان معى فى نفس العربة الدكتور حسين فوزى وظل طول الطريق يردد فى براءة الحكماء .. هل سينفذ الرئيس ما وعد به ؟

قلت انه لا يرجع ابدا فى أى وعد يعده .. قال : يعنى هضبة الاهرام سيتم انقاذها .. ما رأيك ؟ انت تعرفه أكثر منى .. قلت : اعتقد هذا .. واغرورقت عينا حسين فوزى وهو يدعو الى الله بطول بقاء السادات لمصر .. وفى اليوم التالى طلعت علينا الصحف بقرار الزعيم بالابقاء على هضبة الأهرام كما هى وعدم استعمالها باية صورة من الصور .. وبعدها بيومين استدعانى الزعيم الى القناطر فى المساء وبادرنى بقوله : اتصل بالمسئولين وقل لهم أنى اريد بناء مقبرة للخالدين تنقل اليها رفات اجدادنا الفراعنة ولكن على شرط أن يظل كل منهم فى تابوته فليس من الوفاء فى شىء أن نعرض أجدادنا ليتفرج عليهم الناس مقابل مبلغ من المال .. وكان واضحا ان هذه الفكرة كانت وليدة فكرة الحفاظ على هضبة الاهرام فالولاء هو نفس الولاء لمصر فى ماضيها أو حاضرها على السواء ومرة صاحبت الزعيم الخالد فى رحلة الى أسوان كانت ضمن برنامج اعدته شبكة من شبكات التليفزيون الأمريكى بعنوان (مصر السادات) وذهبنا الى جزيرة فيله .. وفى اثناء الحديث مع رئيس البعثة المعلق المشهور (والتر كرونكيت) . سأل كرونكيت الزعيم : وما الذى يمكن أن تساهم به مصر الآن فى حضارة العالم ؟ وكتمنا انفاسنا فى انتظار الاجابة ولكن الزعيم قال فى فخار وصدق ويقين : مصر يمكن أن تساهم بالقيم الانسانية العليا .. قيم الحق والخير والجمال .. واشار بعصاه الى الآثار القريبة والبعيدة ثم قال : من هؤلاء ومنا نحن ورثتهم يمكن أن نتعلموا الكثير ..

كان شديد الاعتزاز بمصر ولعل هذا يفسر حبه واهتمامه بقرية ميت أبو الكوم فلم يكن ما فعله لها مجرد وفاء بل حب دفين للأرض التى انبتته فنما وترعرع الى أن ادرك أن حبه لميت ابو الكوم انما هو جزء من حبه لمصر وأن حبه لمصر انما الاصل فيه يرجع الى ميت ابو الكوم ـ كان كثير الحديث معى عنها وكنت احس اثناء حديثه انه ينتمى اليها لا شعوريا فحسب بل حسيا أيضا وكانه شجرة عملاقة مهما طالت هامتها فجذورها تمتد فى الأرض ـ أرض مصر بأجمعها نضرة دائما فهى تفيض بالحب واجمل ما فى الحب كما كان يردد الزعيم هو العطاء ..

كتب الزعيم الخالد يقول : فى طفولتى كنت استمع الى موال زهران كل ليلة قبل ان انام .. وكنت ارى زهران وهو يصعد الى المشنقة بخطى ثابتة رافع الراس لا يخشى الانجليز الذين حكموا باعدامه ولا يخاف الموت الذى سيلاقيه بعد دقائق .. وفى كل مرة كنت ارى طيف زهران .. كنت اتمنى أن اكون زهران وأن تحكى الناس قصتى كما جعلوا من قصته موالا تتغنى به الأجيال فقد كنت اتمنى ان افعل ما فعل ولكن بدلا من أن يحكم على الانجليز بالاعدام اقود انا ثورة تؤدى الى خلاص البلاد من حكمهم فبت انتظر يوم تخرجى من الكلية الحربية بفارغ الصبر إذ كنت ازخر بالعديد من الأمانى لمصر ولكنها كانت حبيسة فى صدرى لم تترجم بعد الى واقع ..

ولقد حقق السادات لمصر ما كان يتمناه واكثر بكثير فاصبح قصة تروى على كل لسان واملا يملأ قلوب الملايين وفكرة نبيلة سوف تعيش على مدى السنين ..

فالى الخونة السفلحين لن تنالوا من اغتيال السادات سوى لعنة الله الى يوم الدين ولكنكم لم تنالوا السادات بأذى فهو خالد مع الخالدين .. اما نحن المصريين فعلينا أن نتم الرسالة فلا نكف عن تأصيل حب مصر فى قلوب المصريين فهذا وحده طريق الخلاص .. وإلزاما علينا أن يكون كل منا زهران فلا نرضى بالضيم لانفسنا او الآخرين على أيدى الاجانب أو المصريين وعلينا ان ندرك دائما أنه بعد ان غدر الخونة بالزعيم فقتلوه هرعنا نحن اصدقاؤه الى مواراته بالتراب كما تفعل الناس فى كل مكان ولكنا نسينا فى محنتنا ان نسأل انفسنا ، هل تدفن الاهرامات حتى نحاول دفن السادات . ؟

د . رشاد رشدى